Human Cloning and the Problem of Creation in Religious Thought

Khalid Younus al-No'mani

Assistant Professor at Sheikh al-Tousi College, Iraq. E-mail: khaledyounesalnamani@gmail.com

Summary

One of the new issues appeared in the arena of both religious thought and scientific thought is the issue of human cloning, which is considered as one of the most important medical scientific achievements in the last century. At a later period, there was another scientific achievement in the field of stem cells, where many questions were raised at the intellectual level in this field, such as the legality of benefiting from this modern technology, in addition to some doctrinal problems related to creatorism, besides many other questions raised by scholars about the scientific religious approach established by Islamic scholars to answer these questions on such new topics. Some scholars have offered answers to these doctrinal problems objectively and clearly. They concluded that this scientific development does not contradict religious theological view about Creation and the Creator, and does not raise a problem from the legal (religious) point of view as well. We have decided to study the truth of this topic scientifically, showing the position of religion scholars about it, and proving that religion does not oppose scientific development, especially the matt human cloning; because it does not contradict the limitation of creation without a previous substance to God Almighty.

Keywords: cloning, human cloning, creation, religion, science.

Al-Daleel, 2022, Vol. 4, No. 4, PP.1-17
Received: 23/10/2021; Accepted: 26/11/2021
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

الاستنساخ البشري وإشكالية الخلق في الفكر الديني

خالد يونس النعماني

استاذ مساعد في كلية الشيخ الطوسي الجامعة، العراق. البريد الإلكتروني: khaledyounesalnamani@gmail.com

الخلاصة

من المسائل الجديدة المطروحة في ساحة الفكر الديني والعلمي على حدٍّ سواء هي مسألة الاستنساخ البشري، الذي يعدّ من أهمّ الإنجازات العلمية الطبّية في القرن الماضي، وفي فترة لاحقة كان هناك إنجاز علمي آخر في مجال الخلايا الجذعية، حيث طرحت على المستوى الفكري مجموعةٌ من الأسئلة في هذا المجال، كمشروعية الاستفادة من هذه التقنية الحديثة، وأيضًا بعض الإشكاليات العقدية التي ترتبط بالخالقية، بالإضافة إلى استفسارات مطروحة من جانب الباحثين عن المنهج الديني العلمي المقرّر لدى علماء الاسلام للإجابة على هذه التساؤلات في مثل هذه المواضيع المستحدثة، وقد تصدّى بعض العلماء للإجابة على هذه الإشكاليات العقدية بموضوعية ووضوح، وتوصّلوا إلى أنّ هذا التطوّر العلمي لا يتقاطع مع الرؤية الدينية الكلامية حول الخلق والخالق، ولا يثير معضلةً من الناحية الشرعية أيضًا، وقد ارتأينا دراسة حقيقة الموضوع علميًّا وبيان موقف علماء الدين منه، وإثبات أنّ الدين لا يعارض التطوّر العلمي وبالخصوص الاستنساخ البشري؛ لأنّه لا يتعارض مع حصر الخلق بلا مادّةٍ سابقةٍ بالله ﷻ.

الكلمات المفتاحية: الاستنساخ، الاستنساخ البشري، الخلق، الدين، العلم.

مجلة الدليل، 2022، السنة الرابعة، العدد الرابع، صص. 1-17

استلام: 2021/10/23 ، القبول: 2021/11/26

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

إنّ مسألة البحث والتطوّر العلمي من لوازم وجود الإنسان المفكّر والعاقل في عالم الدنيا؛ لأنّ التعقل والتفكّر والتدبّر هي التي تقوّم الإنسان وتميّزه عن غيره من المخلوقات، وهذه الميزة الفريدة للإنسان هي التي تساعده على اكتشاف المجهول في هذا الكون الواسع من خلال الاستكشافات العلمية المرتبطة بالتقدّم العلمي على مختلف المستويات؛ لهذا لا يمكن عرقلة عجلة التطوير العلمي للإنسان؛ لأنّ الحاجة هي التي تدفع الانسان للتفكّر والاختراع في كيفية رفع حاجاته الدنيوية من خلال ما هو موجود ومتوفّر من إمكانات جعلها الخالق تحت تسخير الإنسان ليستفيد منها كما في قوله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [سورة الجاثية: 13]، وفي المقابل من الضروري كبح جماح وطغيان بعض الذين يستغلّون نتائج التطوّر العلمي والاستفادة منه في تقويض الأسس الأخلاقية في الأسرة البشرية، والدين لا يعارض التطوّر العلمي إطلاقًا، وبالخصوص الدين الإسلامي الذي تهدف تعاليمه إلى هداية هذه الحركة العلمية واستثمار نتائجها لصالح البشرية؛ ولا نبالغ إن قلنا إنّه لا يوجد دينٌ من الأديان حثّ أتباعه على طلب العلم والمعرفة مثل الدين الإسلامي، إلّا أنّه أمرهم أن يسخّروا علومهم لخدمة الإنسانية، ومن هنا نحاول تسليط الضوء على موضوع الاستنساخ البشري وما يتعلّق بأصل خلقة الانسان، وكون الله ﷻ هو الخالق الوحيد في هذا الكون، فهل عملية الاستنساخ تعني أنّ الإنسان أصبح خالقًا؟ أم أنّه يدخل ضمن العلل المعدّة لعمليّة الخلق فقط؟ هنا في هذه المقالة سنتناول هذا الموضوع بشكلٍ علميٍّ رصينٍ من حيث البعد الكلامي والعلمي.

المطلب الأوّل: تعريف المفاهيم

يجب في البدء تعريف معنى الاستنساخ والخلق والإبداع، ومن ثمّ الفرق بينهم ليتبيّن هل يدخل الاستنساخ ضمن عملية الخلق والابداع أم لا؟ ليتّضح لنا موقف الإسلام من عملية الاستنساخ بشكلٍ شفّاف، وهل الاستنساخ البشري يعني وجود خالق آخر مستقلٍّ مع الله، أم أنّها مجرّد عملية كشفٍ علميٍّ لبعض العلل المعدّة لعلميّة الخلق؟

1ـ معنى الاستنساخ لغةً واصطلاحًا

مفهوم الاستنساخ لغةً مأخوذٌ من النسخ، ويطلق النسخ على معانٍ، أحدها النقل، ومنه نسخ الكتاب: أي نقل صورته إلى كتابٍ آخر كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾، والثاني يعني الإزالة، يقال نسخت الشمس الظلّ وانتسخته أزالته، والثالث الإبطال أي إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه، قال تعالى: ﴿وَمَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ والرابع هو التغيير، يقال نسخت الريح آثار الديار غيّرتها [انظر: ابن

منظور، لسان العرب، ج 3، ص 61]، والمعنى الأوّل هو المراد من الاستنساخ في هذا البحث، وهو طلب الحصول على نسخة أخرى غير المنقول عنها، وقد يطلق على هذه التقنية تسمية النسخ، أو الاستنساخ الحيوي، أو اللاجنسي، أو نحو ذلك من إطلاقات تبعًا لنوع الاستنساخ.

أمّا من الناحية الاصطلاحية فذهب بعض الباحثين إلى تعريف الاستنساخ بقوله: «هو الحصول على نسخةٍ أو أكثر طبق الأصل من الأصل نفسه، وبالمعنى البيولوجي فالاستنساخ يعني معالجة خليةٍ من كائنٍ معيّنٍ كي تنقسم وتتطوّر إلى نسخةٍ مماثلةٍ لنفس الكائن الحيّ الذي أخذت منه» [الدمرداش، الاستنساخ قنبلة العصر، ص 24]، وقال بعضهم الآخر: إنّ الاستنساخ هو: «نوعٌ من التكاثر اللاجنسي ويكون في الإنسان وغيره؛ وهو تكوّن كائنٍ حيٍّ كنسخةٍ مطابقةٍ تمامًا من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائنٍ حيٍّ آخر» [هاني رزق، الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، ص 229].

كذلك ذكر بعضهم في بيان المفهوم العلمي للاستنساخ بأنّه: أخذ نواة خليّة من كائن حيّ تحتوي على المعلومات الوراثيّة كافّةً، ثمّ زرعها في بويضةٍ مفرغةٍ من موروثاتها ليأتي الجنين أو المخلوق مطابقًا تمامًا للأصل. [انظر: عزّ الدين بحر العلوم، الاستنساخ البشري، ص 16]

فالاستنساخ هو عبارةٌ عن الحصول على النسخ طبق الأصل في النبات أو الحيوان أو الإنسان بدون حاجة إلى تلاقح خلايا جنسيّة ذكريّة وأنثويّة، والنسخة التي تكون طبق الأصل هي التي تحتوي على التراث الإرثي الكامل الموجود في خلايا صاحب الزراعة، فيكون المخلوق الناتج صورة منه تمامًا كالكتاب الذي نطبع منه آلاف النسخ فتجيء متشابهةً تمام الشبه [انظر: الجواهري، بحوثٌ في الفقه المعاصر، ج 2، ص 291]، فالاستنساخ في التعريف العلميّ هو الحصول على نسخ طبق الأصل من الكائن من دون التزاوج. [انظر: بلحاج العربي بن أحمد، الاستنساخ الجيني البشري في ميزان الشرع، ص 27]

2ـ معنى الخلق لغةً واصطلاحًا

بالنسبة لمفهوم الخلق في عرف أهل اللغة الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء، فأمّا الأوّل فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته وأمّا الأصل الثاني فصخرة خلقاء، أي ملساء. [انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص 213]

وقال بعضهم الخلق هو إيجاد الشيء من عدمٍ، ويطلق الخالق على المبدع للشيء المخترع له على غير مثالٍ سابقٍ، والخالق هو الصانع. [انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادّة (خلق)]

وأما في المعنى الاصطلاحي فالخلق كما عرّفه المناويّ هو: «تقدير أمشاج، ما يراد إظهاره بعد الامتزاج، ويستعمل الخلق في إبداع الشيء من غير أصل، كما يستعمل في إيجاد شيء من شيء آخر، والخلق بمعنى الإبداع لا يكون إلّا لله سبحانه، وأمّا الخلق الذي هو إيجاد شيءٍ من آخر، فقد جعله

الله ـ تعالى ـ لغيره في بعض الأحوال» [المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 324].

3ـ معنى الابداع لغة واصطلاحًا

الإبداع يطلق الإبداع في عرف أهل اللغة على اختراع الشيء على غير مثالٍ سابقٍ، فالإبداع أخصّ من الخلق، يقول ابن منظور: «أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، والبديع: من أسماء الله ـ تعالى ـ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأوّل قبل كلّ شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة: 117] أي: خالقهما ومبدعهما فهو ـ سبحانه ـ الخالق المخترع لا عن مثال سابق. [ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 60]

ويطلق الإبداع في الاصطلاح على: إيجاد شيءٍ غير مسبوقٍ بمادّة ولا زمان، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة: 117]، أي الذي أبدع وابتكر وأوجد السماوات والأرض على غير مثالٍ سابقٍ [انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 324]، ومن ثمّ فإنّ الخلق الذي هو إيجاد الشيء من غير أصل، والإبداع الذي هو إيجاد شيءٍ غير مسبوقٍ بمادّة لا يتصوّران إلّا في جانب الله تعالى؛ لأنّه القادر على إيجاد الشيء من عدم، وأمّا الخلق الذي هو إيجاد شيء من شيء، فإنّه يتصوّر من غير الله سبحانه، فالابداع هو إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل الإبداع تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق إيجاد شيء من شيء. [انظر: الجرجاني، التعريفات، ص 21]

وقد ذكر بعض المحقّقين الفرق بين الخلق والإيجاد والإحداث والإبداع والتقدير والجعل والاختراع والتكوين، فإنّ النظر في الإيجاد الى جهة إبداع الوجود فقط، وفي الأحداث إلى الإيجاد من جهة الحدوث وكونه حادثًا، وفي الإبداع إلى الإيجاد على كيفيّة لم يسبقها غيرها، وفي الخلق إلى كون الإيجاد على كيفيّة مخصوصة، وفي الاختراع إلى جهة الاشتقاق بسهولة، وفي التقدير إلى جهة التحديد وتعيين الحدود فقط، وفي التكوين إلى الإيجاد ومن جهة حالة الكون والبقاء إجمالًا، وفي الجعل إلى جهة إحداث تعلّق وارتباط، ويدلّ على أنّ الخلق غير التقدير والتسوية والتصوير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 2]، وقوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [سورة الأعلى: 2]، وقوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [سورة الأعراف: 11]؛ فإنّ التقدير قد تحقّق بعد الخلق، وكذلك التسوية والتصوير، ويدلّ على كونه غير الإيجاد والإبداع قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ [سورة الفرقان: 54] ، وقوله: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [سورة النور : 45]، وقوله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [سورة الرحمن : 15]، ممّا يدلّ على صدق مفهوم الخلق إذا كان من مادّة وسابقة.

وعلى هذا يجوز إطلاق الخالق على غير الله المتعال، فإنّ إحداث شيء على خصوصيّة وصورة معيّنة

من مادّة موجودة ممكن لغيره تعالى، فهو خلق بشري، أو عملية تكوين بشرية، وبهذا اللحاظ صحّ التعبير بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر: 86]، وقوله عزّ من قائل: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 14]، وأمّا كونه أحسن الخالقين مضافًا إلى قدرته التامّة وعلمه وحكمته وإحاطته، فإنّ خالقيّته إذا كانت عن مادّة وسابقة، فتلك المادّة أيضًا من خلقه، ولا يمكن لغيره ﷻ أن يخلق شيئًا من دون سابقة أو بسابقة منه، وعلى هذا الاعتبار إطلاق الآيات الكريمة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: 102] ، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [سورة فاطر: 3]، فإنّ الخالق المطلق الحقّ هو الله العزيز المتعال، وخالقيّة غيره بواسطته وفي المرتبة الثانية، كرازقيّتهم وقدرتهم وعلمهم. [انظر: مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج 3، ص 126 ـ 131]، إذن فالاستنساخ سواءٌ تعلّق بالبشر أو بالحيوان أو النبات ليس خلقًا جديدًا أو إبداعًا من لاشيء، وإنّما هو استفادة من الأسباب الكونية التي جعلها الله تعالى، وذلك بالاعتماد على ما خلق الله ﷻ، بأخذ خلية من كائن حي ووضعها في رحم، وتسليط بعض المؤثرات العلمية الكيماوية والفيزيائية على الخلية، وفقًا لتقنيات التلقيح والإخصاب الصناعي والهندسة الوراثية، فيحدث ما يسمى بالاستنساخ. [انظر: عمر جدية، أصل اعتبار المآل، ص 343؛ بلحاج، الاستنساخ الجيني البشري في ميزان الشرع، ص 27]

المطلب الثاني: الاستنساخ البشري في العلم

قبل الدخول في بيان كيفية إجراء هذه العملية لا بدّ من تقديم تعريف مختصر عن طبيعة الخلية الحيوانية، التي يشترك فيها الإنسان مع سائر الحيوانات، وعن كيفية تكاثرها الطبيعي والجنسي، ليتّضح المراد من الاستنساخ بشكل أفضل.

1ـ تركيب الخلية الحيوانية

تتركّب الخلية الحيوانية من نواة مركزية تعدّ مبدأ الفاعلية الحيوية فيها، وتحتوي على 46 من الأجسام الصبغية (الكروموسومات) الحاملة للعوامل الوراثية (الجينات)، وهي محاطة بغشاء رقيق ويحيط بها من الخارج سائل غذائي مخصوص يسمى (سايتوبلازم) المحاط بدوره بغشاء الخلية نفسها، وهو شريط له لون صبغي قاتم؛ ولذلك سمّي بالصبغيات، التي تمثل الصفات الوراثية، وما بين النواة وجدار الخلية مليء بالسائل الخلوي السيتوبلازم. [الربيعي، الوراثة والإنسان، ص 178]

2ـ أنواع التكاثر الخلوي

أـ التكاثر الطبيعي

وهو الذي يتمّ في جميع أعضاء الجسم الطبيعية، ويؤدّي إلى نموّها وفيها ينشطر كلّ جسم من

الأجسام الصبغية إلى نصفين ثمّ يكمل كلّ نصف نفسه إلى جسم كامل ويذهب كلّ شطر بعد تكامله إلى أطراف النواة، التي تنقسم بعد ذلك إلى نواتين، ثمّ تنقسم الخلية بعد ذلك إلى قسمين يحتوي كلّ قسم منها على نواة مستقلّة تحمل نفس عدد الأجسام الصبغية (46) التي كانت موجودة في الخلية الأولى. [انظر: الحكيم، فقه الاستنساخ البشري وفتاوى طبية، ص 13]

ب- التكاثر الجنسي

وهو يقوم على وجود ذكر وأنثى، حيث يتم تلقيح الخلايا الجنسية الأنثوية بخلايا جنسية من الذكر، فتتكون لقيحة ينشأ عنها الكائن الحي، وهذه الطريقة تتكاثر بها بعض النباتات، والحيوانات الثديية، والإنسان؛ والاستنساخ بتنشيط الخلية هو من النوع الأوّل، فقد حاول الباحثون حثّ البويضة غير الملقّحة على الانقسام والنموّ لتكوين جنين كأنّها خلية ملقّحة، دون وجود حيوان منوي. [انظر: سعد بن عبد العزيز، أحكام الهندسة الوراثية، ص 433]

والجدير بالإشارة هنا أنّه في كلا الحالتين فإنّه بعد التلقيح تتّحد نواة الحيوان المنويّ الذكري مع نواة البويضة الأنثوية، والذي يحتوي كلٌّ منها على 23 كروموسومًا ليصيرا نواةً واحدةً تحتوي على 46 كروموسومًا، تحوي الصفات الوراثية المشتركة بين الذكر والأنثى، ثمّ تبدأ النواة المشتركة بعد ذلك في التكاثر والانقسام في طريق حصول الجنين، ومن الواضح هنا أنّ الجنين الحاصل ليس نسخةً طبق الأصل من الذكر أو الأنثى، بل هو حصيلة إنتاج مشتركة بينهما يحمل صفاتها الوراثية، فهو ابنٌ لهما. [المصدر السابق]

3- عملية الاستنساخ البشري

وبعد الانتهاء من هذه التعريفات التمهيدية نشرع في بيانٍ مختصرٍ عن عملية الاستنساخ البشري، فقد استطاع العلماء بعد إجراء تجارب علمية واستخدام أحدث التقنيات من اكتشاف طريقة جديدة لإنتاج الكائنات الحية يمكن تطبيقها على الإنسان بعد نجاح عملياتها على الحيوان والنبات، وقد سمّيت هذه العملية بـ (الاستنساخ الجيني)، أو (عملية الاستنساخ البشري)، ووجه هذه التسمية أنّ الجنين يشطر إلى أجنة متعددة، وتتمّ هذه العملية بأخذ بويضة أنثوية، وبعد تفريغ البويضة من نواتها تؤخذ خلية جسم عادية وتؤخذ منها نواتها، ثمّ تزرق نواة الخلية العادية داخل البويضة المفرغة، وبتأثير شرارة كهربائية تبدأ بالانقسام مكونة كائنًا جديدًا، ثمّ توضع البويضة بعد تبديل نواتها داخل رحم الانثى لتبدأ مسيرتها فيه كجنين، وهذه التسمية خاطئة؛ لأنّ الجنين لا يطلق إلّا على الولد المستور في بطن أمّه، والفصل لا يكون للجنين، إنّما يكون للخلايا الموجودة خارج الرحم بعد بداية انقسامها الأوّل الذي هو خليّتان، أو الثاني الذي هو أربع خلايا قبل تخصّصها في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء، وإذاكان هذا الإطلاق غير صحيح، فإنّ الواجب تسمية الأشياء على مسمّياتها

الحقيقية، كأن يقال الاستنساخ بفصل الخلايا، أو بشطر الخلايا ونحوها. [انظر: العقون، موقف الشريعة الإسلامية من الاستنساخ، ص 21]

ومن سمات الكائن الجديد كونه مطابقًا تمامًا للكائن صاحب الخلية، وأنّه لا يحتاج لذكرٍ وأنثى لتكوينه، ولا يحتاج إلّا إلى الأنثى فقط، ممّا يؤدّي لأن تكون عمليات تكوين الإنسان خارج نطاق الأسرة، وسمّيت هذه العملية بالاستنساخ لأنّه لا يمكن تمييز الكائن الجديد عن القديم إطلاقًا، ويقال: إنّ هذه العملية ستسبّب مشاكل أخلاقيةً كبيرةً؛ إذ من الممكن أن يستخدمها المجرمون للهروب من العدالة، كأن تكون هناك نسختان متطابقتان تمامًا تقوم إحداهما بجريمة ولا يمكن معرفة الفاعل الحقيقي. [انظر: الحكيم، فقه الاستنساخ البشري والخلايا الجذعية.. فتاوي طبية، ص 20]

إنّ الإشكال المهمّ في هذه العملية والذي كان مثار ضجّة كبيرة وحيرة بين الناس خاصّةً المؤمنين منهم، هو أنّ الجنين الحاصل من هذه العملية ليس في الحقيقة إنتاجًا مشتركًا بين الذكر والأنثى؛ لأنّه ليس نتيجة تلاقح بين نواة الحيوان المنوي للذكر ونواة البويضة للأنثى، بل عبارة عن تكثير نواةٍ واحدةٍ لطرفٍ واحدٍ بالاستعانة بمحيطٍ غذائيٍّ (سيتوبلازم) لبويضة حيوانٍ آخر، وبالتالي لا يحمل إلّا الصفات الوراثية لطرف واحد وهو صاحب النواة، وبالتالي ينتفي المعنى العرفي للبنوّة لكلٍّ من الأب والأم، وهنا يجب الإشارة إلى أنّ عملية الاستنساخ البشري هي عبارة عن عملية تلقيح صناعي معدّل، تنقل فيها النواة التي تحتوي على سرّ الحياة إلى البويضة، ثم إعادتها بعد التلقيح إلى الرحم من أخرى ليحصل الجنين بعد ذلك بالطريق الطبيعي. [انظر: الكعبي، مقالة الاستنساخ البشري، نصوص معاصرة، بحوث ودراسات]

فالاستنساخ يتمّ عن طريق نقل الخلايا بغير طريقة التوالد الطبيعية التي تتمّ عن طريق الخلايا الجنسية عند اندماجها في داخل الرحم، وإنّما تؤخذ نواة خليّة من خلايا الجسم وهي تحتوي على الكروموزمات ذات الستّة والأربعين شريطًا، ثمّ تودع داخل بيضة ناضجة تمّ إخلاؤها من نواتها، وحينئذٍ تشرع النواة الضيفة بالانقسام باتّجاه تكوين جنين سيكون صورةً طبق الأصل عمّن أخذت منه نواة الخليّة؛ لأنّ الذي يحدّد جهة الانقسام هو السيتوبلازم، وبما أنّ السيتوبلازم هنا لبيضة ناضجة فإنّ الانقسام للخليّة سيكون باتّجاه تكوين جنين، وحيث إنّ الكروموزمات في نواة الخليّة كاملة، فمعنى ذلك أنّ الصفات الوراثيّة للجنين ستكون مطابقة تمامًا لصاحب النواة. [انظر: بحر العلوم، الاستنساخ البشري، ص 23]

ومن هذه الحوادث الاكتشاف العلمي الكبير في عام 1997 القائم على أساس الاستنساخ الحيواني، أي الحصول على نسخة طبق الأصل من الحيوان الموجود، والذي أثار ضجّةً عالميةً كبيرةً وأوجدت ردود أفعال متباينة بين موافق ومخالف خاصّةً مع إمكان تطبيقها على الإنسان، ففي عام 1997 قام فريق مكوّن من أربعة علماء في معهد روزلين في إسكتلندا بـ 277 محاولة تجريبيّة، استطاعوا خلال ذلك

الحصول على 29 جنينًا، نجح الحمل في ثلاثة عشر منها، ولم تكتمل الولادة إلّا في حالة واحدة هي النعجة دولي، وقد نجحوا في استنساخ ستّ نعجات معدّلة وراثيًا بجينات بشريّة لإنتاج عوامل التخثير الدمويّة، وأشهرها هي النعجة دولي التي تحمل جيناتٍ بشريّةً معدّلةً، ولكن لم تتمّ ولادة تلك النسيخة المعدلة إلّا بعد مرورها بخطوات عديدة كما ذكرها بعض الباحثين [انظر: السبزواري، الاستنساخ بين التقنية والتشريع، ص 36 ـ 38]، وهذه الخطوات هي كالتالي:

الأولى: أخذ خلية من ضرع النعجة المراد استنساخها، وكان عمرها 6 سنوات، وعرفت سابقًا أنّ هذه الخلية لمّا كانت خليةً جسميّةً تحتوي على العدد الكليّ للكروموسومات، فهي تحتوي على كلّ العوامل الوراثيّة.

الثانية: احتضان هذه الخلية في أطباق مختبريّة مزوّدة بالمواد الغذائيّة الضروريّة لبقائها حيّةً فقط، وإن لم تكن كافيةً لنموّها وانقسامها.

الثالثة: تخفيض تغذيتها بنسبة 1/ 20، وهي النسبة الأدنى لبقائها حيّةً، و لكن دون الفعاليات الطبيعيّة (أي: العمليات الأيضيّة للخلية كافّةً)، وفي هذه الحالة يتوقّف الزمن عند هذه الخلايا (الهامدة)، وتصبح جيناتها عرضةً لإعادة برمجتها، وهذه الحالة هي المطلوبة للسيطرة على تنشيطها في الوقت المناسب.

الرابعة: الحصول على بويضة غير مخصّبةٍ من نعجة أخرى ـ مغايرةٍ تمامًا في النوع ـ أزيلت النواة الحاوية على الجينات الوراثيّة مع الإبقاء على كلّ المحتويات الأخرى، فأصبحت مستودعًا غذائيًّا فقط.

الخامسة: وضع الخلية الهامدة الكاملة بجنب الخلية الخالية من النواة (البويضة) ثمّ تعريضهما لشحنتين كهربائيّتين، الأولى لدمج الخليّتين (مثل فقاعتي صابون)، والثانية لتوليد الطاقة فستعاد حيوية الخلية النائمة وتحفيزها على إعادة الانقسام وممارسة فعالياتها الطبيعيّة، فكانت الحصيلة أنّه تمّ إدخال العدد الكليّ من كروموسومات الخلية الحاوية على نواة خلية الضرع إلى المستودع الغذائيّ، فحصل مزج نواة الخلية الجسميّة (الضرع) مع خلية البيضة المنزوعة عنها النواة.

السادسة: وهي مرحلة الحصول على البيضة كما لو كانت مخصّبةً توًّا لاحتوائها العدد الكليّ للكروموسومات، وتركت الخلية لتتكاثر ـ الذي هو مهمّتها الطبيعيّة ـ وبعد حوالي ستّة أيّام تكوّن الجنين منها، ثمّ نقلت تلك الخلايا المتكاثرة من المختبر وزرعت في رحم نعجة مهيّأة لحضانتها، وبعد إكمال مدّة الحمل ولدت الحامل المولودة الجديدة التي أطلق عليها اسم دولي، فكانت هذه النعجة عبارةً عن نسخة مطابقةٍ للنعجة التي تبرّعت بخلايا ضرعها. [انظر: المصدر السابق، ص 36 ـ 38]

المطلب الثالث: الاستنساخ البشري في الدين

أمّا بخصوص الاستنساخ البشري في الدين فالسؤال المهمّ في هذا المجال هو: هل تتنافى وتتعارض عملية استنساخ حيوان أو إنسان مع ما جاء في الأديان بصورة عامّة وفي الدين الإسلامي بصورة خاصّة، من أنّ الخالق وحده ـ سبحانه ـ يستطيع خلق الموجودات الحيّة؟ سنحاول هنا الإجابة على هذا التساؤل من خلال النصّ الديني الإسلامي المعتبر القرآن الكريم والسنّة الشريفة وآراء علماء الإسلام، ومفاد السؤال: هل هذه العلمية ـ الاستنساخ ـ تتعارض مع ما جاء في آيات كثيرة من أنّ عملية خلق الإنسان هي محصورة بالله تعالى؟ وكذلك فإنّ ظاهر النصّ القرآني، يؤكّد على أنّ عملية خلق الإنسان تتمّ عن طريق الزوجين الذكر والأنثى، وفي الاستنساخ يكون من خلية أنثى فقط دون ذكر، ويكون المستنسخ أنثى تحمل صفات الأنثى، فهل هناك تعارض بين آيات القرآن الكريم والاستنساخ في هذا المجال؟ فهناك رأي يقول إنّ مسألة الاستنساخ البشري قد تتعارض مع الاعتقاد الديني الراسخ من جهة مع الاعتقاد بوحدانية الخالق، وهو الاعتقاد الثابت في جميع الأديان السماوية، وكذلك تتعارض مع الأحكام الشرعيّة الدينية الإسلاميّة من جهة أخرى، وبما أنّ الأحكام الشرعيّة الدينية الإسلاميّة تابعة للعناوين، فسنواجه مشكلةً كبيرةً بخصوص الاستنساخ البشري ترتبط بأحكام النسب والمواريث لهذا الجنين الحاصل، وما يتفرّع عليها من أحكام كثيرة في باب المعاملات، كالنكاح وغيرها؛ وهناك رأيٌ آخر يرى أنّ عملية الاستنساخ لا تتعارض مع الاعتقاد الديني؛ لأنّها تبحث في العلل المعدّة للخلق لا أصل الخلق، وبالتبع فإنّ العناوين الناتجة عن هذه العناوين لها أحكام شرعية خاصّة بها في إطار الأصول الشرعية المعتمدة، وقد تصدّى العلماء لبيان الأجوبة على المسألتين الكلامية والفقهية الشرعية، وهنا سأحاول مناقشة المسألة الكلامية فقط دون التطرّق إلى الجوانب التشريعيّة إلّا على نحو الإيجاز؛ لأنّها بحاجة إلى آراء اجتهاديّة تخصصيّة، وبالخصوص قضيّة التعارض بين الاستنساخ البشري والاعتقاد بوحدانية الخالق.

أ ـ الرأي القائل بالمعارضة

هناك رأي لبعض أتباع الأديان وبالخصوص بعض علماء الإسلام يذهب إلى عدم جواز هذا النوع من الاستنساخ البشري، وذكر بعض الأمور التي سيقت بوصفها محاذير يتوهّم منها عدم قبول عملية الاستنساخ باعتبارها إنتاجًا لكائن حي خارج نطاق الأسرة، ولكنّ هذا المحذور لم يتّضح الوجه في امتناع الاستنساخ من أجله، وقد أشار بعض المعارضين لعملية الاستنساخ أنّها تعني محاولةً تغيير خلق الله، وهي من رغبات الشيطان كما ذكر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرانًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء: 119]، والقائل هنا هو الشيطان الرجيم، والّذي كان هدفه وما

زال منذ بدء الخليقة غواية الإنسان، وحرفه عن الفطرة السليمة التي فطره الله ﷻعليها، وإحدى طرق غوايته أن يوسوس للإنسان بتغيير خلق الله، والاستنساخ البشري هو تغيير لخلق الله؛ لذا فهو منهيٌّ عنه في الإسلام، ولكن هذا الاستدلال بالآية غير تامٍّ، فالمراد من تبديل خلق الله هو دين الله وليس خلق حيوان أو إنسان من خلال بعض الجينات أو الخلايا، يقول الطباطبائي في تفسير ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾: «هذه الجملة تشير إلى أنّ الله قد أوجد في فطرة الإنسان منذ خلقه إيّاه النزعة إلى التوحيد وعبادة الواحد الأحد، بالإضافة إلى بقيّة الصفات والخصال الحميدة الأخرى، ولكنّ وساوس الشيطان والانجراف وراء الأهواء والنزوات تبعد الإنسان عن الطريق المستقيم الصحيح، وتحرفه إلى الطرق المعوجّة الشاذّة، والشاهد على القول الآية 30 من سورة الروم، إذ تقول: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم﴾، ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه فسّره بأنّ القصد من التغيير المذكور في هذه الآية من سورة النساء هو تغيير فطرة الإنسان وحرفها عن التوحيد وعن أمر الله» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 3، ص 464].

ومن أدلّة المعارضين أيضًا أنّ عملية الاستنساخ البشري تنافي ظاهرة سنّة الزواج، فالقرآن الكريم يؤكّد أنّ الناس خلقهم الله أزواجًا من ذكر وأنثى، ولكنّ الاستنساخ يقوم على الاستغناء عن أحد الجنسين، والاكتفاء بجنس واحد، وهذا ضدّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وليس هذا في مصلحة الإنسان بحالة من الأحوال، فالإنسان بفطرته محتاج إلى الجنس الآخر، ليس لمجرد النسل، بل ليكمّل كلٌّ منهما الآخر، كما قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: 187] والرجل والمرأة في حاجةٍ إلى صاحبه ليسكن إليه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف: 189]، وتقوم بينهما المودّة والرحمة، فإنّ ذرّيّتهما أشدّ ما تكون حاجةً إليهما، أي إلى الأسرة وإلى الأمومة وإلى الأبوّة، والاستنساخ لا يحقّق سكن كلٍّ من الزوجين إلى الآخر، كما لا يحقّق الأسرة التي يحتاج الطفل البشري إلى العيش في ظلالها، ولكنّ هذا أيضًا كسابقه، إنّ هذا الرأي قد نظر إلى العنوان الثانوي اللازم لنفس العمليّة، وهو اختلال النظام، ولم تنظر إلى نفس العمليّة بعنوانها الأوّلي، وهو أمر صحيح إذا طبّق هذا الاستنساخ بصورة واسعة أدّت إلى اختلال النظام، أمّا إذا طبّق بصورة ضيّقة بحيث لا يلزم منه المحذور الذي ذكر فلا إشكال فيه. [انظر: الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج 2، ص 297]

كما ذكروا بعض الأمور الأخرى تتعارض مع عملية الاستنساخ البشري كقول شيخ الأزهر الأسبق محمد سيد طنطاوي: «إنّ الاستنساخ البشري حرامٌ شرعًا»، ووصفه بأنّه عبثٌ بالإنسان وكرامته. [العقون، موقف الشريعة الإسلامية من الاستنساخ، ص 55]، فالاستنساخ يؤدّي إلى امتهان كرامة الإنسان، وذلك بالتلاعب بطريقة التناسل باستخدام طرق التناسل غير الجنسية، فيتمّ إهدار كرامة الفرد التي

يحرص عليها الإسلام كلّ الحرص، في عملية الاستنساخ البشري، فدور كلٍّ من الرجل والمرأة في عملية الإنجاب الطبيعي دور إيجابي فعّال كما هو معروف، والجنين يرث صفاتهما، أمّا إذا جاء الجنين عن طريق الاستنساخ فإنّ ذلك يعني تجريد كلٍّ من الرجل والمرأة من هذا الدور الإيجابي، وفي هذا إهانة لكلٍّ منهما. [انظر: العطارة، الاستنساخ البشري وصناعة الأطفال.. رؤية فقهية تربوية معاصرة، ص 162]

وكذلك فإنّ عملية الاستنساخ البشري مخالفة لسنّة الله في خلقه للإنسان، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة الشورى: 49 و50]، فالآيتان فيهما دلالة على أنّ سنّة الله في خلق الإنسان أن يكون من ماء الزوجين، حيث يحصل تلقيح البويضة فينشأ عن ذلك الولد، يقول بعض المفسّرين بخصوص هذا العطاء الإلهي للأولاد: «بهذا الترتيب فإنّ الناس يقسمون إلى أربع مجاميع: من عنده الأولاد الذكور ويريد البنات، ومن عنده البنات ويريد الذكور، ومن عنده الذكور والإناث، والمجموعة التي تفتقد الأبناء ويأملون ويرغبون فيهم. والعجيب أنّ أيّ شخص لا يستطيع الانتخاب في هذا المجال سواءٌ في الماضي أو في الوقت الحاضر، بالرغم من تقدّم وتطوّر العلوم، ورغم المحاولات العديدة فإنّ أحدًا لم يستطع أن يهب الأبناء للعقيم الحقيقي، أو يعيّن نوع المولود وفقًا لرغبة الإنسان بالرغم من دور بعض الأطعمة أو الأدوية في زيادة احتمال ولادة الذكر أو الأنثى، إلّا أنّ هذا يبقى مجرّد احتمال ولا توجد أيّة نتيجة حتمية لهذا الأمر» [مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 15، ص 573]، ومع أنّ الطبّ الحديث ومن خلال عملية الاستنساخ والتلقيح الاصطناعي وغيره ومن خلال علم الجينات والكروسومات قد كشف الأسباب التي تؤدّي إلى أن يكون المولد ذكرًا أو أنثى، ولكن يبقى نفس الردّ على هذا المنع والمعارضة من كونها لا ترتبط بموضوع الوحدانية في خالقية الله سبحانه، بل هي عملية كشف العلل المعدّة لعملية الولادة فقط.

وقد ذُكر كذلك بعض المحاذير الأخرى التي لا تدخل في موضوع بحثنا، وهو إشكاليّة الخلق من خلال الاستنساخ البشري، من قبيل أنّ نجاح هذه العملية قد يسبقه تجارب فاشلة تفسد فيها البويضة قبل أن تنتج الكائن الحيّ المطلوب، وهذا فاسد ومرفوض، لكن هذا المحذور غير صحيح، فإن كان المراد منه أنّ إنتاج الكائن الحي لمّا كان معرضًا للفشل كان ممنوعًا؛ لأنّه يستتبع قتل البويضة المهيّأة لها، وهو محرّم كإسقاط الجنين، فالجواب: أنّ المحرّم عملية قتل الكائن الحيّ المحترم الدم أو قتل البويضة الملقّحة التي هي في الطريق إلى الحياة، وذلك بمثل الإسقاط، وليس المحرّم على المكلّف عملية انتاج كائن حي يموت قبل أن يستكمل شروط الحياة من دون أن يكون له يد في موته، فيجوز للإنسان أن يتصل بزوجته جنسيًّا إذا كانت مهيّأةً للحمل، وإن كان الحمل معرّضًا للسقوط نتيجة عدم استكمال شروط الحياة له، بسبب قصور الحيمن، أو البويضة، أو عدم تهيّؤ الظرف المناسب لاستكمال الجنين نموّه وكسبه للحياة، وعلى كلّ حالٍ لا يوجد مانع من العملية المذكورة. [انظر: الحكيم، فقه

الاستنساخ البشري والخلايا الجذعية.. فتاوي طبية، ص 26؛ مجموعة من المؤلّفين، الموسوعة الفقهية، ج 12، ص 352]

ب- الرأي القائل بعدم المعارضة

وهناك رأيٌ أخر وهو رأي أغلب العلماء، إذ يعتقدون بعدم معارضة عملية الاستنساخ البشري مع الاعتقاد الديني بصورة عامّة، والاعتقادات الدينية الإسلامية بصورة خاصّة؛ لأنّها داخلة ضمن العلل المعدّة للخلق، يقول السيّد الحكيم: «الظاهر إباحة إنتاج الكائن الحيّ بهذه الطريقة أو غيرها، ممّا يرجع إلى استخدام نواميس الكون التي أودعها الله تعالى فيه، والتي يكون في استكشافها المزيد من معرفة آيات الله تعالى، وعظيم قدرته ودقّة صنعته، استزادة في تثبيت الحجّة وتنبيهًا على صدق الدعوة، كما قال عزّ من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصّلت: 53]، ولا يحرم من ذلك إلّا ما كان عن طريق الزنى، ويلحق به على الأحوط وجوبًا تلقيح بويضة المرأة بحيمن الرجل الأجنبي تلقيحًا صناعيًّا خارج الرحم، بحيث ينتسب الكائن الحيّ لأبوين أجنبيّين ليس بينهما سببٌ محلّل للنكاح، أمّا ما عدا ذلك فلا يحرم في نفسه» [الحكيم، فقه الاستنساخ البشري وفتاوى طبية، ص 22].

ولكي يتّضح المراد من الخلق في الفكر الديني الاسلامي يجب دراسة بعض الآيات القرآنية التي تناولت هذه المسألة للوصول إلى نتيجة وحصيلة معرفيّة حول معنى الخلق، قال الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 14]، فهل هذا يعني وجود خالقين غير الله حتى يذكر في القرآن الكريم أحسن الخالقين؟

فالجواب: أنّ الخلق يكون بمعنى الإيجاد ولا موجد سوى الله ويكون بمعنى التقدير، فالمراد هنا أنّ الإنسان قد يصوّر ويقدّر ويصنع الشيء فهو خلقٌ بشريٌّ، مع أنّ الله هو خير المصوّرين والمقدّرين؛ لأنّ الخلق أصله الإيجاد على تقدير وتسوية، وأطلق الخلق في القرآن وكلام الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود إخراجًا لا صنعة فيه للبشر، وإنّ إيجاد البشر بصنعتهم أشياء إنّما هو تصويرها بتركيب متفرق أجزائها، وتقدير مقادير مطلوبةٍ منها، كصانع الخزف، فالخلق وإيجاد العوالم وأجناس الموجودات وأنواعها وتولّد بعضها من بعض، بما أودعت الخلقة الإلهية فيها من نظام الإيجاد فذلك خلقٌ وهو من تكوين الله تعالى، ولا عبرة بما قد يقارن بعض ذلك الإيجاد من الناس، فالإيجاد الذي هو الإخراج من العدم إلى الوجود بدون عمل بشري خصّ باسم الخلق في اصطلاح الشرع؛ لأنّ لفظ الخلق هو أقرب الألفاظ في اللغة العربية دلالةً على معنى الإيجاد من العدم، الذي هو صفة الله تعالى، وصار ذلك مدلول مادّة خلق في اصطلاح أهل الإسلام؛ فلذلك خص إطلاقه في لسان الإسلام بالله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:

17]، وقال ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [سورة فاطر: 3]، وخصّ اسم الخالق به تعالى، فلا يطلق على غيره، وما حكاه الله في القرآن من قول عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [سورة آل عمران: 49]، فإنّ ذلك مراعًى فيه أصل الإطلاق اللغوي قبل غلبة استعمال مادّة خَلَقَ في الخلق الذي لا يقدر عليه إلّا الله تعالى، ثمّ تخصيص تلك المادّة بتكوين الله 4 الموجودات؛ ومن أجل ذلك قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 14]. [انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 327]

وفي إشارةٍ إلى عبارة أحسن الخالقين التي تثير هذا التساؤل: هل يوجد خالقٌ غير الله؟ يقول صاحب تفسير الأمثل: «وضع بعض المفسّرين تبريراتٍ لهذه الآية في وقتٍ لا حاجة فيه لهذه التبريرات؛ لأنّ كلمة (الخلق) بمعنى التقدير والصنع، ويصح ذلك بالنسبة لغير الله، إلّا أن هناك اختلافًا جوهريًّا بين الخلقين ... يخلق الله الموادّ وصورها، بينما يصنع الإنسان أشياءه ممّا خلق الله، فهو يغيّر صورها، كمن يبني دارًا حيث يستخدم موادّ أوّليّةً كالجصّ والآجرّ، أو يصنع من الحديد سيّارةً أو ماكنةً، ومن جهة أخرى لا حدود لخلق الله، فـ ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: 16]، في وقتٍ نجد ما صنعه الإنسان محدودًا جدًّا، وفي كثير من الأحيان يجد الإنسان فيما خلقه نقصًا يجب سدّه فيما بعد، إلّا أنّ الله يبدع الخلق دون أيّ نقصٍ أو عيبٍ، ثمّ إنّ قدرة الإنسان على صنع الأشياء جاءت بإذن من الله، حيث كلّ شيءٍ في العالم يتحرّك بإذن الله، حتّى الورق على الشجر» [مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، ج 10، ص 430].

وهناك توضيحٌ آخر فلسفي لمسألة الخلق والاستنساخ، وهو القول إنّ العلّة الفاعلة الحقيقية التي يصدر عنها الخلق بشكل مستقلّ هي الذات واجبة الوجود، وهو الله ﷻ في الاصطلاح الديني، وأمّا بقيّة الفواعل فهي تصرّف في العلل المعدّة ليس إلّا، فالفاعل الحقيقي والخالق لكلّ الموجودات الممكنة هو الله 4 وحده لا شريك له، وهو ما يطلق عليه بالعلّة الموجدة والفاعلة، وأمّا بقيّة الممكنات فهي تصنع وتخلق ـ بالتعبير المجازي ـ من خلال التصرّف في العلل المعدّة فقط، والاستنساخ من هذا القبيل، فالاستنساخ لا يعدو أن يكون عبارةً عن قيام العلماء بدراسة لقوانين الخلق الإلهي، وتطبيق ذلك على الخلية الجسدية من دون تلاقح طبيعي، وهو بمنزلة صورة فوتوغرافية للأصل، وليس إبداعًا أو خلقًا جديدًا، والدافع إلى هذا التمييز هو الخشية من اعتبار الاستنساخ ضربًا من الخلق الذي انفرد به الله 4. [انظر: عمر جدية، أصل اعتبار المآل، ص343]

الخاتمة

من خلال ما ذكرناه يتّضح ما يلي:

1ـ أنّ عملية الاستنساخ هي عبارة عن الحصول على نسخٍ طبق الأصل في النبات أو الحيوان أو الإنسان بدون حاجة إلى تلاقح خلايا جنسيّة ذكريّة وأنوثيّة، والنسخة التي تكون طبق الأصل هي التي تحتوي على التراث الإرثي الكامل الموجود في خلايا صاحب الزراعة، فيكون المخلوق الناتج صورةً منه تمامًا، كالكتاب الذي نطبع منه آلاف النسخ، فتجيء متشابهةً تمام الشبه.

2ـ هناك نظريّتان ترتبط بمسألة كون الاستنساخ البشري يتعارض مع إشكالية الخلق في الفكر الديني، الأولى معارضةٌ لهذه العملية وتعتبرها تدخّلًا في عملية الخلق الإلهي، وقد ذكرنا بعض أدلّتهم من القرآن الكريم على عدم جواز الاستنساخ البشري، ولكنّ ما ذكروه ناظرٌ إلى العنوان الثانوي اللازم لنفس العمليّة، وهو اختلال النظام، ولم ينظر إلى نفس العمليّة بعنوانها الأوّليّ، وقد يكون في نفسه أمرًا صحيحًا إذا طبّق هذا الاستنساخ بصورة واسعة أدّت إلى اختلال النظام، أمّا إذا طبّق بصورة ضيّقة بحيث لا يلزم منه المحذور الذي ذكر فلا إشكال فيه.

3ـ نظرية القائلين بعد معارضة عملية الاستنساخ البشري مع الفكر الديني، وذكروا أدلّةً من النصّ الديني القطعي وهو القرآن الكريم على جوازه، واستشهدوا بعملية خلق الطير من قِبل النبي عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء، فالفاعل الحقيقي والخالق الوحيد باستقلالية هو الإله المبدع وحده لا شريك له، ويطلق عليه بالعلّة الموجدة والفاعلة، وأمّا بقيّة الممكنات فما تقوم به يدخل ضمن نطاق التكوين لا الإبداع، وتخلق من خلال التصرّف في العلل المعدّة فقط، فهو خلقٌ بشريٌّ، والاستنساخ من هذا القبيل، فالاستنساخ لا يعدو أن يكون عبارةً عن قيام العلماء بدراسة لقوانين الخلق الإلهي، ومن ثمّ تكوين مخلوقاتٍ بعد اكتشاف تلك القوانين.

قائمة المصادر

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر، الرياض، 1998 م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.

ابن فارس، جعفر بن أحمد، مجمع المقاييس في اللغة، دار الفكر، 1399 هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرّم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408 هـ.

بحر العلوم، عزّ الدين حسن، الاستنساخ البشري وموقف الشريعة الإسلامية، مكتبة الألفين، الكويت، ط 2، 1999 م.

بلحاج العربي بن أحمد، الاستنساخ الجيني البشري في ميزان الشرع، مجلة مجمع الوعي الإسلامي، الكويت، 435، 2002 م.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

العقون، جميلة، موقف الشريعة الإسلامية من الاستنساخ، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر، 2017 م.

الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، دار الذخائر، بيروت.

الحكيم، محمدسعيد، فقه الاستنساخ البشري والخلايا الجذعية.. فتاوي طبية، دار الهلال، قمّ، 1392 ش.

سعد بن عبد العزيز، أحكام الهندسة الوراثية، جامعة الملك سعود، السعودية، 2007 م.

الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسّسة البعثة للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1413 هـ.

الدمرداش، صبري، الاستنساخ قنبلة العصر، دار الفكر الحديث، الكويت، ط 1، 1997 م.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة إسماعليان، قم، ط 2، 1391 هـ.

عمر جدية، أصل اعتبار المآل، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2010 م.

الكعبي، غالب، الاستنساخ البشري، نصوص معاصرة، 2014 م، موقع: http://nosos.net

مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية، مؤسسة دار المعارف الفقه الاسلامي، قم، 1427هـ.

العطارة، محمد محمود، الاستنساخ البشري وصناعة الأطفال.. رؤية فقهية تربوية معاصرة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السعودية، العدد 101، 2014 م.

مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى، طهران، 1368 ش.

المناوي، زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، 1990 م.

الموسوي السبزواري، علي، الاستنساخ بين التقنية والتشريع، نشر الكوثر، قم، 1422 هـ.

هاني رزق، الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، دار الفكر للنشر، دمشق، 2013 م.

Refrence

Sa'd Bin Abdul-Aziz, Provisions of Genetic Engineering, King Sa'ud University, Saudi Arabia, 2007 AD.

Sabri Al-Damerdash, ***Cloning; the Bomb of the Age***, Darul-Fikr al-Hadith, Kuwait, 1st edition, 1997 AD.

Ghaleb al-Ka'bi, ***Human Cloning***; ***Contemporary Texts***, 2014, Website: http://nosos.net

A collection of authors, ***Encyclopedia of Fiqh***, Darul-Ma'aref Foundation for Islamic Jurisprudence, Qom, 1427 AH.

Mostafawi, Hasan, ***Enquiry into the Words of the Holy Qur'an***, Ministry of Culture and Guidance, Tehran, 1368 Iranian Calendar.

Al-Manawi, Zainuddin Muhammad, ***Al-Tawqeef ala Muhimmat al-Ta'areef***, AalamulKutub Publications, Cairo, 1990 AD.

Al-Mousawi al-Sabzwari, Ali, ***Cloning between Technology and Legislation***, al-Kawthar Publications, Qom, 1422 AH.

Hani Rizq, Cloning; Controversy of Science, Religion and Ethics, Darul-Fikr for Publishing, Damascus, 2013 AD.